



الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله أما بعد فإن الاعتكاف في رمضان من العبادات العظيمة التي يجمع المسلم فيها نفسه على العبادة صياماً وصلة وذكراً وقراءة مع التقلل من صوارف الدنيا وملهياتها ومقسيات القلوب!

ومشروعيه الاعتكاف، وفضله، وهو ثابت بالكتاب والسنّة. ويكفي في الدلالة على فضله ومكانته: ملزمة النبي صلى الله عليه وسلم له حتى إنه عندما تركه في بعض الأعوام مرة قضاه في شوال.

وللاعتكاف أهداف سامية، وغايات عالية، وهو مدرسة تربوية، ومحطة للعبادة والتأمل والتفكير، يخطئ بعض أصحاب المسؤوليات فيظن تلك المهام والشواغل مسوغات لانصرافه عنه! مع أنه كلما ازدادت مسؤولية المرء، اشتدت الحاجة إليه، وظهر أثره عليه.

وفوائد الاعتكاف تعم الصغير والكبير، والغني والفقير، والذكر والأنثى، فكل واحد منهم له منه حظ ونصيب، ومن تركه فقد حرم خيراً كثيراً.

والاعتكاف مشروع طيلة أيام السنة، وليس خاصاً برمضان، ولكن رمضان أفضل أيامه، وأفضلها العشر الأواخر منه، كما كان يفعل رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم التماساً للليلة القدر، ولمقاصد أخرى منها الخلو للعبادة، وجمع القلب على الطاعة، ولهذا شرع في غير رمضان، ولهذا نقول لمن خرج بعد أن ظن أنه أدرك الليلة الشريفة! لو قدر أنك أدركتها حقاً فقد

أدركت خيراً كثيراً، لكنك فرطت في خير كثير أيضاً!

وأقل ما ثبت فيه الاعتكاف: ليلة، ولا حد لأكثره، ولا يوجد دليل صحيح صريح في اشتراط الصوم له، وأنه يصح إلا به. ومكانه المسجد، لدلالة الكتاب والسنة على ذلك.

والفقهاء منهم من تشدد في شروطه وواجباته مما جعله عسيراً وشاقاً، لا يقوى عليه إلا الخواص، وهؤلاء لا مستند لهم في كثير مما ذكروه من الشروط والواجبات، وآخرون تساهلوا فيه؛ حتى قالوا من جلس في المسجد لحظة فقد اعتكف إن نوى ذلك، وهؤلاء لم يراعوا مقاصده وأهدافه وسر تشريعه، وما خص به من أحكام.

والحق وسط بين الطرفين، يراعي في ذلك ما ورد فيه من نصوص، والغايات التي شرع من أجلها، كما يراعي ما كان عليهنبي الأمة النبي صلى الله عليه وسلم وسلفها، دون إفراط أو تفريط. مع النظر إلى يسر الشريعة وسماحتها.

وقد حرص أزواج النبي النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم على إحياء سنة الاعتكاف واستمرارها بعد وفاته النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يؤكد مشروعية الاعتكاف للنساء، ولا يلزم لذلك محرم، والمهم هو أمن الفتنة، وإن الزوج.

ولما رأى رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم أن أزواجه خرجن بالاعتكاف عما شرع له، وأردن أن يجعلنه ميداناً للمنافسة على القرب من الزوج، أنكر ذلك، وقال: ((البر يردن))؟ أي أن عملهن هذا ليس عمل من يريد البر ويسعى إليه، ثم اتخاذ قراره الحاسم، وقطع الاعتكاف، وقضاءه في شوال.

وفي هذا دليل على أن الاعتكاف شرع لغايات وأهداف متى خرج عنها المعتكف حري ألا يصح منه اعتكافه، وحال بعض المعتكفين -اليوم- يصدق عليهم ما قاله -صلى الله عليه وسلم- لأمهات المؤمنين، فيقال لهم: آلبر تريدون؟ ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم.

فرحي بنا أن ناتسي بنبينا النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن لا نفرط في تلك الليالي والأيام المباركة، وأن نجعل مقاصد الاعتكاف نصب أعيننا، متى رأينا ما ينقصها أو ينقضها انصرفنا عنها.

ومن أهم مقاصد الاعتكاف تحري ليلة القدر، وقد بلغ من شرفها وعلو مكانتها عند الله أن أنزل فيها القرآن (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ شَهْرٍ) [القدر]، (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) [الدخان: 3]، وهذا يدل على شرف المُنْزَل، ومكانة الليلة المُنْزَل فيها.

إن فضل هذه الليلة وعموم خيرها ورفة منزلتها لا تدرك بالعقل، وإنما كيف تكون ليلة واحدة؛ لا تتعدى -أحياناً- بضع ساعات أفضل من ثلاثة وثمانين سنة، بل تزيد، ولا نعلم مقدار هذه الزيادة، ولا مجال للعقل في مثل هذه الحقائق التي جاءت بها النصوص القطعية، سوى خضوعه لها، وإيمانه بها، دون شك أو ريبة، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

ومع هذا الفضل العظيم الذي لا يدرك كنهه، ولا يسبر غوره، فهناك من يفرط فيه جهلاً أو تسويفاً (ومن يهين الله بما له من مكر) [الحج: 18].

ليس العجب من فضل الله وكرمه وسعة عطائه (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَنُ اللَّهِ وَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) [هود: 73]، وإنما العجب من جهل ابن آدم وتفرطيه وضعف عقله وإدراكه، وتضييعه لتلك الفرص التي سيندم عليها حين لا ينفع الندم، فهل يستيقظ النائمون؟ وينتبه الغافلون؟ ويتدارك المفترطون؟ مادام في الأجل فسحة، وفي العمر بقية، فما ذهب فات، واغتنم ما بقي قبل أن يقال: هيئات هيئات.

وفقني الله وإياكم لعمل الصالحات واغتنام الأوقات، والفوز بأعلى الدرجات، وأسأله أن يختم لنا الشهر خير ختام، والحمد لله رب العالمين.

المسلم

المصادر: